

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المعارض الكبرى حول المرديّة

منذ قيام المعارض العالمية الكبرى، بداية القرن التاسع عشرة في لندن 1851 بهایدبارك، في (كريستال بالاس)، ما زالت تحتل المرتبة الثالثة، من حيث النجاح في المجال الاقتصادي والثقافي، بعد النجاحات الاستثنائية لكأس العالم والألعاب الأولمبية. وكان مكتوبا على اللوحة التقديمية (الطوطم): (المعارض العالمية الكبرى للصناعة من جميع الأمم).

والمعارض الكبرى حول المرديّة، والتي تزامن بداية عصر الأحفاد في خلافة الشيخ أحمد بمب (أحد الشخصيات الدينية الإسلامية الكبرى في إفريقيا والسنغال)، تكون عملية بمعنى آخر: وهو أن الأمة الإسلامية واحدة، لا تتجزأ. بوحدة تتجاوز الحدود، والعصور، والمذاهب، والحركات الدينية، المنبثقة عن المدارس الفقهية الأساسية الأربعة، مجتمعة حول رسالة عالمية واحدة، وحول النبي محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحول دينها الإسلامي.

فأي حدث كهذا، يحدث في الأمة أو الدولة المسلمة، يساهم في رعاية الوحدة. الوحدة في الاختلاف، لا الوحدة في الافتراق. كما يسمح بتحسين علاقاتنا مع الآخرين. فالمرديّة حاضرة في مواعيد الأخذ والإعطاء لتقول: مهما كانت الصور فهذه صورتي أنا. تأخذ جذورها من القرآن والسنة والإجماع، بخصوصية اعتبار عمل أهل المدينة منبعا للفقّه، كمالك بن أنس رضي الله عنه.

لقد أكد الشيخ أحمد بمب مؤسس المرديّة انتماءه إلى المدرسة المالكية. فهذه المعارض، إنما تهدف إلى إظهار أبعاد المهمة التي قام بها الشيخ أحمد بمب في خدمة الإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم)، وأبعاد توحيد، وعبادته لله تعالى. معلوم أن العرب احتلوا إفريقيا منذ القرن السابع ونشروا الإسلام فيها حتى وصلوا إلى إفريقيا السوداء، سلميا أو عسكريا.

وفي القرن الخامس عشرة جاء الاستعمار الأوروبي . وبداية التجارة بالرقيق، ولم توقع فرنسا على قرار منع الرق إلا في 27 أبريل م 1848 في مستعمراتها الإفريقية بما فيها السنغال .

ليست تجارة الرقيق من النشاطات الأكثر بشاعة فحسب ، ولكنها تجارة غير مشروعة، بكائنات بشرية، لمدة أربعة قرون، تعتبر اليوم جريمة ضد الإنسانية . خلفت جروحا لم تندمل بعد، وما زالت الشعوب تعاني منها، سواء في إفريقيا أو في بلاد (الوجهة المجهولة) لهؤلاء الرقيق.

إن الاستعمار الذي لقي مقاومة شديدة ضد سياسة الاحتلال ، غيرت سياستها في وقت التوغل والتهدئة، وتبنت سياسة استيعاب المستعمرات في الثقافة الغربية.

وبعد انتهائها من تصفية المقاومة المسلحة، من قبل الزعماء المسلمين والملوك المحليين التقليديين، اصطدمت الإدارة الاستعمارية بالشيخ أحمد بمب الذي لم يكن هدفه ومهمته، إلا إقامة نظام للقيم الثقافية الأساسية للإسلام .

لم يكن مسلحا، ولم يقبل قط الاستسلام لسلطة المحتل، ولم يعترف بسلطة غير سلطة الله تعالى .

شخصية إسلامية كبيرة، نجح — رغم الوضع الجيوسياسي الصعب للقرن التاسع عشرة — ما مكّنه من درجة عبد الله وخدم رسوله (صلى الله عليه وسلم).

فهذه المعارض التي تقرأون على اللوحة التقديمية : المعارض الكبرى حول المرديّة . تتكون من قاعة مركزية مساحتها 2000 متر مربع وبداخلها جناح مقسم إلى موضوعات تتناول كافة جوانب القيم الثقافية الأساسية للمرديّة :

- القيم السيرية (التاريخية)
- القيم العلمية والأخلاقية
- القيم الأدبية
- القيم الفنية
- قيم العمل
- القيم التضامنية
- مدينة طوبى المقدسة ومستقبل التنمية

- احتفال عيد التعظيم الكبير بطوبى ، إحياء لانتقال الشيخ إلى الغيبة البحرية
- الخلافة المريدية

وبجانها قاعة مساحتها 1000 متر مربع ومجهزة كغرفة متعددة الوظائف، لاستضافة محاضرات ولقاءات، وعروض بوسائل مختلفة : أفلام ، جلسات البحث والدراسة حول المريدية، تقديم كتب، وسائر النشاطات المطابقة للموضوع الرئيسي أو المرتبطة بإحياء عيد التعظيم .

إن الموضوعات التي يقدمها العلماء والمختصون، ستكون بغاية الأهمية ، ولذلك نحاول اختصارها وذكر بعض منها ، ما سيثير بالتأكيد، رغبة الإطلاع وحصافة المفكرين والباحثين ، ونرجو أن يرضى الشيخ الخديم رضى الله عنه (مورد الظمان).

1) — منصة حول القيم السيرية (التاريخية)

السيرة لغة تعني السنة والطريقة ، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. واصطلاحاً : قصة حياة إنسان مقدس وتاريخه.

عندما نتكلم عن القيم السيرية . إنما نعني مجموع السلوك الشخصي والاجتماعي المتعلقة بالأخلاق والأفعال والآداب ، والعبادات ، و مجموع السمائل المتعلقة بشخصية الشيخ أحمد بمب، بإيمانه والتزامه تجاه ربه، في تحمله للمحن ، وفي مطابقة تعاليمه لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)

باختصار: كل ما يجدد القيم الأساسية للإسلام .

2) — منصة حول القيم العلمية والأخلاقية

إن شخصية الشيخ أحمد بمب، كرجل من رجال الله . شخصية مركبة، فهو علمي، إستمولوجي، فلسفي، إداري، ذو فهم عميق للوطنية، فقيه، متصوف، متبحر في جميع مجالات العلوم : علوم القرآن، علوم الدين، العلوم الفرعية، الحكم، التاريخ الإسلامي، علوم اللغة

العربية بأقسامها: علم اللهجات، علم الاشتقاق. علم الألفاظ، علم التشكل، علم الأعلام، فقه اللغة، علم الدلالة .

دراسة الأساليب، علم المواقع، علم الأصوات ...!

لنتذكر أن العلماء ورثة الأنبياء.

إن خادم الرسول (صلى الله عليه وسلم) له مهمة التربية، والإنقاذ، والإنحاء، في الدنيا والآخرة، وهو مع ذلك، معلم ينتج الكتب لمدرسته في أكثر المواد: في الفقه والتوحيد والتصوف والنحو وغيرها. وله مؤلفات في الحكم، والآداب، ومناقب الصالحين المتقدمين. وألف في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) دواوين شعرية استعمل فيها كل أساليب الشعر العربي، بما فيها التطريز من حروف القرآن الكريم، والآيات. وعمل بالقرآن حتى رفعته أنواره إلى أعلى المقامات الروحية، ومنحته كل أسرارها.

علم القرآن وعلوم الدين، فهو إذن معلم ومرب. ومن هنا جاء النظام التعليمي المريدي. عمل على نشر القرآن الكريم، وخاصة نظام الكتابة والخط، وكل ما من شأنه تحسين المصحف وحفظه وتحسينه واحترامه. وذلك قبل توسيعه في البلاد بواسطة الكتاتيب (مراكز للتربية تتضمن — في أغلب الحالات — استثمارات زراعية ، وتلعب دور التكوين الفني والمهني) .

إن كبار المريدين الذين رباهم ألفوا كثيرا في المجال الأدبي والعلمي:

علم الفلك، مدينة طوي، المسجد الكبير، سيرة الشيخ، غيبته البحرية، كرمه، حياته المحمودة ، مقاماته ومناقبه .

لقد نجح في تكوين جيل من كبار العابدين، كرسوا حياتهم للقرآن الكريم. ولن ننس أبدا جماعة القراءات اليومية للقرآن الكريم (دور المصحف). وينبغي تقدير دوره الكبير في إعادة جمع كتب المدارس السننية الكبرى، بنظم بعض المؤلفات الصعبة ، أو المفقودة بسبب الضغوط الاستعمارية، فجدد كتب العلماء مثل : الشيخ عبد الرحمن الأخصري في الفقه ، أبو عبد الله محمد السنوسي في التوحيد ، أبو حامد الغزالي، واليدالي ، والإمام العوفي في التصوف، الشيخ أحمد الدلحاجي في الآداب، أبو عبد الرحمان بن محمد بن داوود في النحو، وغيرهم .

3) — منصة حول القيم الأدبية تأتي :

إن القيم الأدبية تأتي لزيادة مزايا الشخص، وبهذا تعبر عن خصوصية الشيخ أحمد بمب شخص استثنائي أنتج أطنانا من المخطوطات . فهو من النادرين الذين لا يشك أحد في ثروة مكتبته الغنية الزاخرة . ولكن تكمن أصالته في تعمقه في اللغة العربية الأصيلة، وتأثير القرآن الكريم على أعماله الأدبية ، وبركات كتاباته وغير ذلك .

فالقرآن الكريم بكونه العمل الأدبي الأول للغة العربية، هو المنبع الأساسي للنثر و الشعر العربي الإسلامي . فبتمسكه به وتطبيقه، أعجب الشيخ الخديم كثيرا من الشعراء .

إن المنصة أو الجناح الخاص بالقيم الأدبية، تسمح باكتشاف المنهج الحقيقي لهذا التراث الوثائقي الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى فهم مدى إحياء الشيخ أحمد بمب لهذه القيم.

ففي مجال ضروب النثر مثلا — نجد :

الخطبة

الرسالة

الوصية

القصة

السيرة

والدواوين المتنوعة .

وسترون أنه جدد كافة الضروب الشعرية المعروفة :

المدح

الفخر

الهجاء

الرثاء

الملحمة

الوصف

الغزل

الحكمة

التعليمية

الصلاة على النبي

التوسل.

وستكتشفون في هذا الجناح ظهور ضرب أدبي جديد، في البحث عن رضوان الله، والشكر. لقد أثر الشيخ في الإنتاج الأدبي لكبار مردييه، باللغتين العربية والولفية، والذين من بينهم علماء في السيرة، وشعراء. ومجهم للشيخ، وجهوا أقلامهم إلى شخصه المتميز، إلى المرديية، إلى عيد التعظيم، إلى حكمه، وإلى الإسلام بصفة عامة. حيث نشأ أدب ديني مستلهم من الشيخ: أسلوبا، ونظما، ونوعا، وهندسة. لقد طور في البيئة المرديية أدبا مردييا باللغة العربية وأخرى بالولفية.

4) — منصة حول القيم الفنية :

هل ينبغي حصر الفن الإسلامي في خبرة جماعة واحدة من الجماعات الإسلامية دون الأخرى؟ وهل للخصوصيات الاجتماعية والثقافية لشعب واحد من الأمة الإسلامية، أن تحمل اسم الفن الإسلامي؟ إن مثل هذه التساؤلات، تسمح بوضع الفن الإسلامي في منظوره السيرى والتاريخى، بعيدا عن كل اختلاط. وهكذا فإن القيمة الفنية المتعلقة بالقرآن مباشرة، هو الخط، وكل المهارات، والهندسة، المستخدمة لتخليد وصيانة كتب الله تعالى.

وسنعرض للمجالات التالية :

— القيم السيرية للقرآن في مسيرة التاريخ. أو بمعنى آخر، وسائل الصيانة، حيث يأتي دور النبي (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ الرسالة بواسطة الكتابة. والشيخ أحمد بمب كمجدد، خصص في كتاباته تعليمات تتعلق بالمهارات والقواعد الخاصة بالخط. فقد اخترع كثيرا من المهارات والأعمال الفنية الخاصة بالقرآن الكريم.

ولم يترك حتى الأدوات والوسائل ، بالإضافة إلى الكتبة الذين اكتسبوا لبراعتهم — اسم (ملك القلم). وفي توسيعه لقراءة القرآن وكتابته ، جدد وظائف الكتاب والقراء، فنشأ بذلك خط، له من الجودة والجاذبية والوضوح ، وحسن التقديم ، ومراعاة وضع النقط والعلامات والأشكال، ما يجعل من السهل التعرف على المدرسة المريرية في مجال الخط العربي.

5) — منصة حول قيم العمل

على شكل التمثيل، إليكم بعض الصور التي ستعطي رؤية أولية :

- بناء السكة الحديدية من جربل إلى طوبى، لنقل الأدوات والمواد، لبناء مسجد طوبى الكبير
سنة 1931م

- بناء مسجد جربل بين عام 1226 و 1917

- استغلال الأراضي الجديدة، والحضور الملحوظ للمريرية في حوض الفستق . فالمريدون متواجدون في المناطق الساحلية بانياي، بزراعة مكثفة للخضروات. وهم اليوم في الو، في حوض نهر السنغال، بزراعة الأرز والبامية ، والطماطم والبطيخ. وفي الغابة المفتوحة، لزراعة الفستق وفول الصويا، والصمغ. كما أن الآمال تتجه نحو المريرين في تنمية أنواع جديدة كالجatroفا ، ودوار الشمس .

وقيم العمل في المريرية تظهر أيضا في مجال تنمية المواشي، والصيد البحري. ولها حضور متميز في كل من كيار، وغيت اندار، وامبور، وجوال — فاجود :أكبر مرافق الصيد التقليدي . حيث انتظموا في دوائر وجمعيات وشركات ، وجماعات المصلحة الاقتصادية، وغيرها، في التبريد الصناعي وتحويل المنتوجات البحرية .

وهذه القيم قادت المريرية إلى الصناعة، وسائر فروع التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، حيث مكنتهم التضحية من السيطرة على مجالات كانت في السابق حكرا على فئة معينة. وباختصار: إن هذه القيم للعمل في مجال القطاع الثالث: التجارة الداخلية والخارجية بالمعنى الواسع ، توضح أن للمريرية وزنا ثقيل جدا في الإنتاج المحلي الإجمالي.

6) — منصة حول مدينة طوبى المقدسة ومستقبل التنمية

طوبى حرم مقدس. والزوار، بتتبعهم للوحات حول القيم السيرية، يلاحظون أن الشيخ غادر امباكي كجور في مسيرة طويلة، نحو الاستقلال في عبادة الله. توقف في امباكي بول وسط أقاربه، ولم يلبث هؤلاء أن ردوا على نفوذه وقوة شخصيته .

في شهر صفر 1304هـ — أنشأ محيما في شرق امباكي بول، طلبا للسلام، وسماه: دار السلام ، في انتظار للحصول على أرض هناء.

فأعطاه الله الأرض المفضلة لما ينويه من عبادته، والتفرغ لخدمة النبي (صلى الله عليه وسلم).
هذه الأرض هي طوبى المقدسة، التي بناها دارا نهاية السنة 1305هـ — وبداية 1306 — 1888م .

في سنة 1312هـ — خرج من طوبى المحروسة ، ولقي عداا الهيمنة والتوسع من الفرنسيين ، المدعومين من قبل زعماء دينيين، والعداء — لأجل الامتيازات — من قبل الأمراء والملوك المحليين، الذين نسجوا المكائد والحيل، لتوقيف نفوذه المطرد.

بغض النظر عن وضعها المقدس، فقد بدأت المدينة في مشاهدة الكثير من تنبؤات مؤسسها : ملكية أرضية مساحتها 30000 هكتار من توسعة 400 هكتار باسم الشيخ أحمد بمب، فهي اليوم ثانية المدن السنغالية. أرض مستقلة، ساهمت — بقوة — في تنميتها الذاتية، بجانب خطة البلاد.

تم بناء المسجد الجامع بتمويل ذاتي، والتقسيمات الأرضية بتمويل الخليفة، وتوزيع الأراضي السكنية مجاني.

إن النمو السكاني مطرد، وتوسع المدينة السريعة يجعلها تكاد تكتسح جاراتها . فالوظائف الحضرية للمدينة أصبحت متعددة:

مدينة دينية ، مدينة مزار ، مدينة عالمية تقريبا))

بالإضافة إلى وضعها الديني، فهي حاضرة كبيرة، وتسهر على النظام الأمني : المياه ، والكهرباء ، الاتصالات، الطرق، الصحية، التربية والتعليم .

والعجيب جدا، هو (احترامها لوظيفتها الأولية كمدينة أسست لعبادة الله) . وتؤكد ذلك الخطط المتتالية لتجديد وتوسيع المسجد الجامع، والمعاهد المنتشرة في المدينة، ومكتبة الشيخ الخديم ، والمدارس القرآنية، والمحاضر.

مدينة بلا تبغ، ولا كحول، ولا قمار، ولا موسيقى، والفحش والبذاءة ممنوعة فيها. ويتم تسهيل صعوبات التحضر بفضل استراتيجيات تنموية، وضعت تحت إشراف إدارة لامركزية، تعمل وفق خطة محلية منظمة حسب الطوارئ، والحاجات الاجتماعية للسكان .

7) — منصة حول قيم التضامن

لقد تميز المريدون بالانضباط واحترام السلطة . متحدين خلف الخليفة العام للمريديّة، طور المريدون نظاما تضامنيا نشطا، وأنشئوا مشاريع كبيرة للمصلحة العامة : منها على سبيل المثال : بناء مستشفيات ، ومرافق صحة، تبرعات بسيارات الإسعاف، وأجهزة ومواد طبية، الإنارة العمومية للشوارع ، بناء أسواق ومراكز تجارية ، وبناء مرافق تعليمية وغيرها.

فالمشاريع الكبيرة للتنمية، والخدمات البنائية للخليفة، بجانب برنامج تحديث المدينة المقدسة من قبل الدولة ، بإشراف الخليفة ، وتقسيم الأراضي بتمويل ذاتي والتوزيع المجاني للأراضي السكنية، كلها جوانب إنسانية واجتماعية، تساهم في توثيق الروابط التضامنية بين المريدون، ومنازل الشيخ الخديم المختلفة حول العالم، كلها أماكن للقاء، والاجتماع، والتواصل الثقافي بينهم .

1895 / 2010 م أكثر من قرن بعد انطلاق الشيخ أحمد بمب إلى المنفى بدأ التسلسل الزمني يطول من الأب إلى الأحفاد ، وما زالت تصمد — بقوة — كما صمدت ضد الاستعمار. لقد توسعت الجماعة، ووطرت حاضرة دينية: مدينة طوي، العاصمة الدينية للمريدون، وثانية المدن السنغالية.

يريد حزب الترقية — بهذه المعارض، على عتبة الألفية، الغنية بالتحويلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي لا تترك أي مجال، سواء في: المناخ، الثقافة، الاقتصاد، العقيدة، التعليم، الصحة ، العلوم والتكنولوجيا، التهميش الاجتماعي في سياسات الهجرة، التمييز، الإرهاب، الجريمة ضد

الإنسانية، الاستقرار والسلام، التنمية المستدامة، الرشوة، مكافحة الفقر، وحماية البيئة — يريد أن يضع إطاراً للحوار بين الثقافات، وتبادل الخبرات، بهدف تلبية رغبات كثير من الباحثين، وعدد كبير من الزوار.

بالتأكيد، هذه المعارض متخصصة، ولكن لها بعد عالمي: فعيد التعظيم يستضيف زواراً من جميع الآفاق، والبعثات الدبلوماسية لدول العالم كلها ستكون حاضرة. وهي أيضاً — بدون شك — إطار طبيعي للصحافة، والباحثين، والطلاب، والأساتذة، وكل من يريد اكتشاف المرادية، كمعاهد البحث في العلوم الاجتماعية، والجامعات، والمراكز الثقافية.

وستمتد هذه المعارض عبر موقع على الانترنت، وبيان مفهرس، ووسائل رقمية، ومجلة. وسيتم اتخاذ كافة الإجراءات العملية، ليجد فيها كل واحد حسابه، في أحسن الظروف، مع الراحة والأمن.

لقد حاولنا — باختصار — تقديم هذه المعارض التي ستستمر إلى يوم 19 صفر 1431.

وبهذه المحاولة يرجو حزب الترقية من الجميع، التفاهم والعفو عن النقائص. إن بذل هذه الجهود، ليس إلا لإعطائكم الرضا الكامل، والفخر والفرح، برؤية أبناء المرادين، يعملون لأجل مشروع المعارض الكبرى حول المرادية.

ولا يسعني أن أختتم كلمتي، دون توجيه شكر خاص إلى الشيخ محمد البشير امباكي الناطق باسم الخليفة العالم للمرادية الشيخ محمد الأمين، وجميع المشاركين، الذين قدموا عملاً رائعاً، على الرغم من ضيق الوقت. وأخص بالذكر: المعهد الدولي للدراسات والبحوث حول المرادية، وجميع العارضين، الذين سيشكلون فريقاً يجعل من أهدافه التنقل عبر مختلف المدن العالمية.

وأنا متأكد أيضاً، من أن المواعيد المستديرة، والزيارات، والمؤتمرات الصحفية، والمحاضرات المخصصة، حسب الموضوعات المختلفة للأجنحة، ستعطي لهذه التظاهرات حيوية كبيرة.

أيها الإخوة والأخوات في الإسلام، تقديراً وإشادة بالاهتمام الكبير، الذي أوليتموه لهذه التظاهرات، نقوم الآن — بإذن الله — بافتتاح المعارض الكبرى حول المرادية، والتي ستساهم جملة من الإجراءات التنظيمية في إنجاحها، وتسمح لنا بالوصول إلى أهدافنا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته